مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 02، جوان 2022، صص: 383- 394
تاريخ الاستلام(2021/10/14) تاريخ القبول(2022/05/13) تاريخ النشر(2022/06/30)

العشق المقدّس في أدب الوطن والحرية، مقاربة شعرية

the sacred adoration in the literature of the homeland and freedom,a poetic approach

د خان بوتوشنت[1]، بن شريف محمد[2]

[1] جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، boutoudokhane@gmail. com

[2] جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، Benmoha14@yahoo. fr

ملخص:

موضوع المقال، العشقُ المُقدّس في أدب الوطن و الحريّة، هو الوطن أغلى ما يملك الإنسان على وجه الأرض، يتجاوز هذه الرّقعة الجغرافية، وهذا العشق الذي يحمله الشّاعر والأديب والرّسام والطبيب والمهندس، يتفاوت فيه الوصف والتّشريح لمصطلح الوطن والحرية، فضرورتهما كضرورة الملح للطعام لا استغناء عنهما؛ وقد حاولت أن أتحرّى أهم النّماذج الشّعرية التي تظلّ شاهدةً على وعي هؤلاء بقضية الوطن، و قداسته في نفوس الجزائريين خصوصًا، والعرب عامةً؛ ولعلّ الإشكالية التي نطرحها هي إلى أيّ مدى ساهم الشّعر الثّوري في الحفاظ على صورة الوطن ؟ وما هي الأبعاد التي نتجت عن أدب الوطن والحرية ؟ ثمّ هل ساهم العشق المقدّس في صناعة الإنسان والوطن ؟ وقد جاءت هذه الدراسة لتلقي بعض الضوء عل ما جادت به قرائح الشّعراء.

كلمات مفتاحية: العشق، الوطن، الحرية، الثّورة، القومية، المقدّس.

Abstract:

The topic of the article, the sacred adoration in the literature of the homeland and freedom, is the homeland, the most precious thing that man has on earth, transcends this geographical area, and this love that the poet, writer, painter, doctor and engineer bears, in which the description and anatomy of the term homeland and freedom vary, their necessity as the necessity of salt for food is indispensable about them; I have tried to investigate the most important poetic models that bear

المؤلف المرسل: دخان بوتوشنت، الايميل: boutoudokhane@gmail.com

witness to their awareness of the cause of the homeland, and its holiness in the hearts of Algerians in particular, and Arabs in general. Perhaps the problem we raise is to what extent did revolutionary poetry contribute to preserving the image of the homeland? What are the dimensions that resulted from the literature of the homeland and freedom? Then did sacred love contribute to the industry of man and the nation? This study came to shed some light on what the poets' recitations made.
Keywords: adoration, homeland, freedom, revolution, nationalism, the sacred.

تمهـــيد

لا يختلف اثنان أنَّ الأدب يرسم أجمل اللّوحات الفنيّة لمعاناة المجتمعات بصورة صادقة، ولما كانت تعانيه من قيود المستعمر الغاشم في شتى ربوع المعمورة، تبّت أيادي هذه القوى الظّالمة، فهي تريد أن ترمي بسياطها على أعناق المعذّبين، وتلقي بسمومها لتفرضَ سيطرتها على المستضعفين، ، لذلك يجيء أدب الوطن والحرّية تعبيرًا صادقا عن حبّ مقدّس يسمو بأصحابه، وما هذه اللّوحات الفنيّة التي تسامت في حبّ الأوطان إلاّ رافدٌ من روافدِ التّحرر لأوطانٍ سُرقت من قلوبٍ وعقولِ من شغفوا حبًّا بها، فهاموا لأجلها وقد رضعوا منها معاني التّضحية، و تيمّمُوا بترابها فكانت صلاتهم للخالق ثناءً وحمدًا، وللوطن إخلاصًا وولاءً، ففي كلّ بقعة من القطر الجزائري، حلّقت أقلامُ الأدباء والشّعراء الجزائريين والعرب مؤازرة لها بروائع من كنوزهم الأدبية، وتشهد رحى الحروب الطّاحنة بلهيبها شموخ الرّجال، ليشعرَ المستعمرُ بأنَّه قد دان القصاص منه.

وأمّا كلمة "الوطن فهي تشير الى بلد المرء أو مدينته أو قريته، ، إلاّ أنّ كلمة "الوطن" كانت لا تزال تشير الى شخص الملك والولاء الواجب له على رعاياه: فالنّاس، كما كان يُقال، على دين ملوكها وأوطانهم. حتى صارت كلمة "الوطن" تعني ذلك الشّيء الذي من أجله قد يضحي الانسان بحياته، ومن هنا لا عجب وليس من قبيل المصادفة أن تجد أدباء القرن الماضي قد تغنوا بالوطن والوطنية من مختلف الثّقافات و الأجناس والانتماءات، لأنّ الوطن أكبر من الحبيبة حتّى وإنْ ظلّ الشّعب يخالُ نفسه قيسًا، والأرض تظلّ ليلى تعانق شوق الحرية، ومن هؤلاء الشّعراء الذين هاموا بحبّها فوق كلّ الظنون، و في كلّ وادٍ، شاعرنا المفدّى، مفدي زكريا حتّى من داخل السّجون يأنس بحمامةِ الوطن ويُظهر عشقًا قدسيًا حتى كأنّه أبو فراس الحمداني، شيمته الصّبر، ليس للهوى عليه نهيٌ ولا أمرٌ إذْ يقول مفدي زكريا :

"فيا أيّها النّاسُ.. هذه بـلادي * ومعبدُ حبّي وحلمُ فـــــــؤادي**
بلاد، أحبّك، فوقَ الظّنـــــونِ * وأشدو بحبّك، في كلّ نــــــادي**
عشقتُ لأجلكِ كلّ جمـــيلٍ * وهمتُ لأجلك، في كـــلّ وادي..**
ومن هامَ فيكِ أحبَّ الجمالَ، * وإنْ لامهُ الغُـــشمُ.. قال: بـــلادي**
شغلنا الورى، وملأنا الدّنا

بشعرٍ نرتّله كالصّلاةِ
تسابيحه من حنايا الجزائر" (1)

وتتجلى صورة الوطن الجزائر في هذه المناحي المحرقة أحيانًا، والمشرقة أحيانًا أخرى، وقد لاحت فلسفة الجمال في أشعارهم، وتنوعت مظاهره، ومن هذه الأبعاد:

أ. أبعاد الوطن االتّحرّرية في الشّعر عمومًا :

البعد الجمالي والوطني :

الجمال لغةً: هو مصدر الجَميل، والفعل جَمُلَ، وقوله عزّوجل: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ **النحل6**، أيْ بهاءُ وحسنٌ، والجَمالَ الحسنُ يكون في الفعلِ والخَلقِ، وأصلُ الجمالِ في العربيّة العِظمُ، والجملُ سمي جملاً لعظم خلقته(2).

أمّا اصطلاحًا: وهو صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النّفسِ سرورًا ورضًا. لذلك عُدَّا الجمالُ بابًا من أبواب الفلسفة، يبحث في الجمالِ ومقاييسه ونظرياته(3).

إنَّ البعدَ الوطني يكشف عن ملاحم العظماء في الشّعر الوطني، وعلى الخصوص الشّعر الجزائري، وهذا يَظهرُ في خلجاتِ أبناء الجزائر، عشّاق الشّمس من الشّعراء في قضيتهم الوطنية، و في مقاومتهم المستعمر الفرنسي الغاشم، فكثيرة هي الأقلام الجزائرية التي نسجت بمداد أقلامها قصائدَ من النّار والنّور، وحملت على عاتقها الرّوح الوطنية، لتزرع روح الحميّة ظالمةً أو مظلومةً في نفوس الجزائريين، ويظهر جليًا في إحدى روائع النَّشيد السّموي المقدّس، ألا وهي إلياذة الجزائر للشّاعر الثّائر مفدي زكرياء، التي تغنّى فيها كثيرا بالجزائر، وسما بها لتصبح في معرضِ الأحرارِ سيّدةً وملكةً للجمال الإلهي على وجه الأرض وهو القائل :

" جزائريا مطلع المعجزات *** ويا حُجّة الله في الكائنات
ويا بسمةَ الرّبّ في أرضه *** ويا وجهَه الضّاحكَ القَسمات "(4)
" جزائـريا بدعةَ الفاطر *** ويا روعة الصّانع القـادر
ويا بابلَ السّحرِ من وحيها *** تلقب هاروتُ بالسّاحر
ويا تربةً تاه فيها الجـلالُ *** فتاهت بها القممُ الشّامخاتُ
جزائر، يا لحكاية حـبّي *** ويا من حملت السّلام لقلبي
فلولا جمالكَ ما صحَّ ديني *** وما أن عرفتُ الطّريقَ لربّي..
ومهما بعدتُ، ومهما قربتُ *** غرامكِ فوق ظنوني ولُبّي"(5)

فكان عشقها الأزليّ محلَّ إجلالٍ وإكبار، تسكنُ عظامَهم وتسري في عروقهم.

" ويا ثورةً حارَفيهَا الزّمانُ *** وفي شعبِهَا الهادئ الثّائر
ويا وحدةً صهرتها الخطو *** بُ فقامتْ على دمها الفائر
شغلنا الورى وملأنا الدّنا
بشعر نرتله كالصّلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر"(6)

وهنا يرسم مالك حدّاد صورة الجزائر بثورتها لوحته المقّدسة، عن الوطن باعتباره مرتع الحبّ والحنان الذي لا بديل له عنه في جميع الأوطان، وإلاّ فمن يشتري وطـنًا؟ من يشتري أمًـــــا؟. يقول مالك حدّاد:

"... إنّي لأعشقُ تلك اللّحظة التي تهبني الحياة

سأسمّي تلك اللّحظة

أصغوا إذن !

سدّوا آذانكم جيّدا

و افتحوا قلوبكم على مصراعيها

سأسمّيها ؟ رفاقي الذين سأعانقهم عن قريب

سأسمّيها ؟ داري حيث تنتظرني أمي بصبر نافذ

سأسمّيها ؟ رفيقة القيثارات المحطّمة

سأسميّها الجزائر... "(7)

وهنا كأنّما يتقاطع الشّاعر مالك حداد، و شاعر ثورة الشّرفاء مفدي زكريا، وغيره ممن رضعوا حبّ أوطانهم، فما عادوا يبالون بالموت، ذلك أنّ جوع الحرية يرضيهم أن يأكلوا لحم مغتصب أرضهم، حتىّ كأنّ المستعمر جزّار الشّعوب، أو هذا الجلاّد لا يتركُ خيارًا للشّاعر مفدي زكريا الذي يستهزئ بالسّجان، فيتحداه ويتحدى الموتَ كأنّه يحاذره، فجوع الحريّة يرضي الأسودَ بأكل الجيف، فلا يبالي، متنبّيًا في نزعته قائلاً:

و اقض يا موتُ فيما أنت قــاضٍ *** أنا راضٍ إنْ عاش شعبي سعيدًا

أَمِن العدلِ صاحبُ الدّار يشقى *** ودخيلٌ بها يعيش سعــــيدًا؟

وتعظم صورة الوطن، وتكبر في عيون العظماء المفدّى عند صالح خباشة ذودا عن أرض الجزائر وعرضها فهو القائل:

" وحدة القطر وشعبي في الجـــزائر *** غايـة الثّوار في أرضِ المفـاخـر

يـا بلادي أنـا أقـسـمتُ بثـاري *** أنــا دون النَّصــر لا تخمـدُ نـاري

فاسمعوها صرخةً من كـلّ ثائـر *** لن تنالوا أيّ شبر في الجـــــزائر"(8)

و غير بعيد نجد الشّاعر – محمد الأخضر السّائحي وهو يناجي وطنه على لسان ثائر لا يخاف الموت ولا يرهبها، إنّه وقد اختار أن يدخل من باب الحرية الحمراء، فدماؤه وحياته كلّها فداء لوطنه الحبيب الذي إن مات من أجله "(9) يقول الأخضر السّائحي في هذه المعاني :

" أنا حرّ وهذه الأرضُ أرضي *** سوف أفـدي حياتـها بحياتــي

سوف أبني أمجادهـــا وأروي *** بدمائي مروجهــا النّضـــرات

فتدفّق يا أيّــها الـدّمُ حــرًّا *** واجْرِ في هذه الذّرى الشّامخـات"(10)

وإذْ يعدُّ الشّاعر عبد العالي رزاق حينما يصوّر وطنه الثّائر بيد الفلاح الذي فأسه، ليس من أجل الحرث وإنّما نجده قد أحالَ الفأسَ بندقيةً يدافع بها عن وطنه ببطولة وثبات، و تعتزّ بوطنها الجزائر :

" كلّ ما أعرفه عن وطني
قصّة ثائر
كان فلاحا، على كتفيه
محراث، وفأس.. . وبشائر"(11)

2- البعد القومي : إنَّ من أعظم الرّوابط، القومية العربية، هذه العروبة التي تخلق فيهم مشاعر أخوية يهتزّ لها كيانهم من المشرق إلى المغرب، فالقومية إذا هي " حبّ الأمّة والشّعوب بارتباط وطني نحوها "(12) وتجمعهم مقومات متأصّلة في توحدهم أينما وُجدوا.

يقول سليمان العيسى في قصيدته " ميلاد شعب " التي أهداها لثوار الجزائر :

" جرحنا ذاك الذي ينزف نارًا وكفاحًا
واحد لم ينقسم إلاّ ميادينا وساحًا "(13). "

" فالشّاعر يقرّ بأنَّ هذا الجرح واحد سواء كان في أقصى المغرب أو المشرق، ويصرّ على عدم انقسامه "(14) وقد يكون حجم الجراح مختلف فوق ما يحمل اللّفظ، ومهما كان الشّاعر مقولاً جريئا فإنّه - لا محالة - يعجز كما يختلف باختلاف ميادينه وساحاته في المعارك، وهو القائل:

" يا صقور الجزائر السّمر عيدي * وقصيدي لكم، ووهج احتراقي**
يا دوي الرّصاص زغرد على " الأو * راس " باق عرس العروبة باقٍ**
لن نردّ السّيوفَ في الغمدِ حتّى* نلتقي تحت بندنا الخفّاقِ "(15)**

ومرة أخرى يثبت الشاعر مفدي زكريا للرّأي العربي عروبة الجزائر وكفاحها الذي هو امتداد لكفاح الأمة العربية بأسرها ضد الظّلم والطّغيان، وماذا يردّ عليهم عزّ أولهم إنْ ضاع أخرهُ أو ذلّ واتّضعا، فهو يقول في قصيدته " فلا عزّ حتّى تستقل الجزائر :

" ويا عربياً في بلاد شقيقةٍ * عروبتنا من يستطيع لها نُكرًا ؟**
فما حربنا إلاّ امتدادٌ لثورةٍ * أراد لها من كان يخذلنا خُسرًا"(16)**

ولقد كان الشّعراء العرب يتتبّعون أخبار ثورة الجزائر، وما يجري في أوطانها، وما يحصلُ في أرضنا من مجازر وحشيةٍ، وغاية فرنسا من ورائها إجهاض المقاومة وإسقاط شرعية انتفاضة الشّعب الجزائري وتحويل الجزائر وضمّها لتصير قطعةً فرنسيةً، ولكن حلمهم هيهات له أن يتحقّق فهو كا السّراب يحسبه الظمأن ماءً ، لأن الجزائر جوهرة نفيسة تختبئ في قلوب من عشقوا سماءها وأرضها وترابها وهواءها وماءها، حجرها وشجرها، زيتونها ونخيلها بكلّ ألوان العشق المقدّس.

ويقف الشّاعر السّوري سليمان العيسى مخلدا ثورة الجزائر في قصيدة ملحمة الجزائر، عاجزا عن الوصف، مدافعًا عنها رغم بعده، متحدّيًا المستعمرَ الذي حاول أن يطفئَ نور الشّمس بقوله:

" روعة الجرح فوق ما يحمل اللّفــظ * ويقوى عليه إعصار شاعــر**

ما عساني أقول والنّــار لم * تلفح جبيني هناك، والثّـــــأر دائر**

ألف عذريا ساحة المجــد * يا أرضي التي لم أضمّها يا جـــــز ائر**

3- **البعد الديني**: لقد ألبسَ الشّعراءُ العربَ عمومًا والجزائريون على الخصوص الثّورة الجزائرية لباسا إسلاميا، فأعطوها بعدا دينيًا وروحيًا، يقول مفدي زكريا في قصيدة " نظمها بمناسبة الذكرى الثالثة للثّورة سنة 1957 وهو في سجن البرواقية "(17) مُشبّهًا فيها ليلة أوّل نوفمبر بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ليلة انجلى فيها ليلُ الظالمين بنور الخالق فتبدّدت ظلمةُ الغاصبين واستحال الظلمُ نورًا:

" دعا التّاريخُ ليلكَ فاستجابَا * " نوفمبُر" هلْ وفيتَ لنا النّصابَا**

وهلْ سمعَ المجيبُ نداءَ شــعبٍ * فكانتْ ليـلـةُ القـدرِ الجـوابَـا"(18)**

ويظلّ شاعر الثّورة الجزائرية، ومهندسُ انتصاراتها يستلهم عشقها الإلهي، كأنّه يتعبّد في غار حراء، ويؤنس شوقه للحرية الحمراء بأن لا يحزن، لأنَّ الله عزّوجل يمحق أعداء الإسلام والحرية التي لا توهب إلا لعروس الشّهداء تلهم شاعر الثورة المفدَّى مفدي زكريا قائلاً :

" تـأذّن ربُّكَ ليـلـةَ قـــــدرٍ * وألقى السّتارَ على ألفَ شهرٍ**

وقال له الشّعبُ : أمرُك ربّي * وقال لـه الربُّ : أمركَ أمــري !!**

نوفمبُر غيّرت مجرى الحيـــاة * وكنتَ نوفمبرُ مطلعَ فجـرٍ!**

وذكّرتنا في الجز ائـر بــدرًا * فقمنا نضاهي صحابـةَ بـدرِ"(19)**

ومن إحدى روائع الشّاعر التّونسي عبد الله الزناد، الذي يصف دفاع الثّوار عن أرض الجزائر دفاعا عن العروبة ونصرة للحق، فهو القائل:

" أريـدُ فـكَ قُيُـــــودي * مـن غَاصـبٍ تنكّـــــــرْ**

وقام للثّـأر شعـــــبٌ * بجبـهـةٍ يـتَحَـــــــرّرْ**

رأى البلادَ تقـاســـي * فهَـبّ فـورًا شـمّــــرْ**

رأى العروبةَ تشكُـــو * ظلمًا فـقـام يـُزمـجــــرْ**

للدين أمسى غَضُوبـــًا * فجـرّد السّـيـفَ يشهَـرْ"(20)**

وبرغم ما في هذه الكلمات من بساطة الكلمة، غير أنّها واحدة من روائع الشّعراء المؤازرين للثورة الجزائرية، رافضين كلّ أشكال المساومة، معبّرين بكلّ أساليب المقاومة أمام تأجج نار الثورة ضد الغاصبين، حتى صارت سفوح الجزائر للصوص مقابر.

4- **البعد المغاربي**: نظرا للموقع الجغرافي الذي تتموقع فيه الجزائر باعتبارها جزء من المغرب العربي ومن قارة أفريقيا، نجد بعض الشّعراء العرب قد صبغوا ثورة الجزائر أو بعض أبطالها بصبغة مغاربية فها هو الشّاعر العراقي عبد الوهاب البياتي يتحدث عن أبطال الجزائر حيث يقول في هذا الصدد :

" للعيون المغربية
في الخيام العربيهْ
تتحدّى الموت في " أوراس " في ليل الجراح
باسمهم غنّيت، غنّوا للصّباح "(21)

كما حاول الشاعر محمد الفيتوري أن يضفي على القضية الجزائرية " الطابع الأفريقي في شعره بحكم الواقع الجغرافي والانتماء القاري.. . "(22)، فهو يقول عن الثورة الجزائرية :

" إنّي أحني رأسي كبـرا
إنّي أحفظه في إكبار فأنا أفريقي
ما أجمـل أن يصحـو إنســان
فإذا التاريخ بلا قضبان
وإذا الثـورة فـي كـل مـكـان
تركز أعـلام الحـريـة"(23)

أمّا الشاعر الفلسطيني محمود درويش فيصّور الجزائر بأنّها شمس أفريقيا تسطع على أوراسها في إباء وشموخٍ، وكأنَّ الأرض تتكلم أو كانَّ أشجار الزيتون تصرخ، وترفض أن تنحني لمشانق الغاصبين قائلاً :

" شمس أفريقيا على أوراسها قرص إباء
وعلى زيتونها مشنقة للدّخـــــلاء "(24)

ويتحدث الشّاعر التّونسي أحمد اللّغماني عن الثّورة الجزائرية ضمن حديثه عن انتفاضه المغرب العربي يقول :

" بأطلسك الشّهم أفريقيا
وتربتك البرّة الخيريّة
بآفاقك النيّرة
بحق الجهاد ومجد القتال
حلفنا بتونس أرض الفداء
ومراكش الحرّة الشامخه
بمجد الجزائر ذات الشّمم"(25)

ويصف الشّاعر الجزائري أبو القاسم سعد الله ثورة الجزائر التي كانت خامدة لسنين طويلة في قارة سمراء ركنت إلى الغربان النّاعقة والجرذان لتعيث فيها فسادا، أو كا العاصف المشتعل الذي يجرف كلّ شيء في طريقه، يقول أبو القاسم سعد الله :

" أفريقيا
بأرضنا الحنون
يا توت، يا تفاح، يا زيتون
يا جنة نام بها رضوان
فرتعت في دوحها الجرذان
وحلّقت في أفقها الغربان
وكادت الحياة أن تغور
ساحت من الأوراس مثل السّيل
وفتحت أمامنا السبيل "(26)

5- **جمالية البعد الإنساني**: تكتسي الثّورة الجزائرية رداءً إنسانيًا، لأنَّ الإنسانية جمعاء عانت من الظّلم والطّغيان والاستبداد أبدا الدّهور، فمنذ أقدم العصور والإنسان، مافتئ يكابد شقاءً واستغلالاً ألحقهُ عليه الإنسانُ المُستبّد، الذي لا تهدأ نفسه، ولا يطيبُ له طعام ولا يسوغ له مشربٌ، حتّى يغدو هو السيّد المتحكّم في زمام أمور المستضعفين. يقول الشاعر محمد مهدي الجواهري في قصيدته " يوم الجزائر " مندّدا بالظلم والاستغلال زارعًا الحماسة في نفوس الجزائريين على الكفاح للقضاء على الطغاة الآثمين:

" رُدّي علقمَ الموتِ لا تجزعـــي * ولا ترهبي جمرةَ المصـــــــرعِ**
فما سعرت جمـراتُ الكفـــاحِ * لغيرِ خـليـقٍ بهـــــا أروعُ"(27)**

وقد استطاع بدر شاكر السّياب أن يرسم لنا لوحات مؤلمة، و لكنه لم يخرج عن الإطار الإنساني، إذ ألّفَ القصائد الطوالَ فيها. ففي قصيدته " جميلة بوحيرد " يعبّر من خلالها عن ما تعانيه الإنسانية من غطرسة وبلادة المستبّد الغاشم، وعمّا تلاقيه في ظل الاستعمار من اضطهاد وقهر وظلم، ، ويتجسد هذا البعد الإنساني في قوله :

" من يصلب الخبزَ الذي نأكل ؟
نخشى إذا واريتَ أمو اتنا
أن يفزعَ الأحياءُ ما يبصرون "(28)

وفي إحدى لوحاته الفنيّة يصوّر الشّاعر العراقي إبراهيم خطاب الزبيدي(29) معاناة جندي في ساحة الوغى وهو يكتب رسالة إلى زوجته والموت يحاصره، إذ يقول في قصيدته "من شفاه النار":

"الرعدُ يملؤني فـلا تستكـثـري *** أن تشربَ الرعدَ الحـروفُ وتُـشـرقُ
في عيني الأشلاءُ تسبحُ والدّمـا *** تجتاح درب (كتيبتي).. . هل يغـلقُ

وأمامي الأوغادُ قد ملأوا الرّبى *** مثل الجراد على الحقول.. . تدفّقوا"(30)

وتبدو البطولة في صورتها الإنسانية واضحة في قصيدة حسن البياتي " فتى من الجزائر " فبطله يتغلب على عواطفه، ولا ينصاع لتضرّع أمه إليه بالبقاء إلى جانبها، فيقول لها : " اتركيني يا أمي فإنّ رفاقي المجاهدين في انتظاري هناك على رؤوس التلال، توقفي سنرجع عندما يلوح فجر الحرية مشرقا على سحب الآلام مبدّدا ظلمتها :

" سأمضي ليس تثنيني قيـود *** وفـي قـلـبي دمـاء للشّبـاب
سنرجـعُ والظلام طواه قبر *** ورفّ الفجـر يـبـسـمُ للسّـحـابِ(31)

ب- **تصوير لهيب الثّورة** والوطن:

لقد قام الشّعراء العرب عامة والجزائريين خاصة برسم صورة صادقة وحقّة عن الثّورة وهي مستعرة النّيران، يريدون اقتلاعها من جذورها، حتى يتسنّى لهم الاستيلاء على هذا القطر الغالي، وتحويله إلى رقعة تقبع تحت سيطرتهم قلبا وقالبا. يقول الشّاعر العراقي سليمان هادي الطعمة في قصيدة " الجزائر الدّامية " واصفًا مواجهة المجاهدين الثّوار للجيش الفرنسي بكل عزم وثبات، شاهرين أسلحتهم في وجهه، حتى يحصدوا الظّلم بعدما خلعوا عنهم ثوب الرّهبة فلا عاد الموت يخيفهم، ولا ظلمة اللّيل تُرهبهم :

زحفة الفيلق، يا نفس اشهدي *** موكب الظّلم، وهولَ المَشْهـدِ
واعبُري جسرَ المنايا واصمُـدي *** واكسري بالعزم قيد المعتـدي
لا نهابُ الموتَ مهمـا بلغَـتْ *** سطوةَ المستعمر المستعـبِد(32)

ويقول شاعرنا مفدي زكريا واصفًا الثّورة التي اشتعلت، وقضت قضاءً مبرمًا على العدوّ، كالسّيل الجارف الذي جرف معه كلّ آلات الدّمار، فلم توقفها جحافل العدوّ، ، وهذه أبيات منها :

" نادى المنادي إلى التّحرير يدفعها *** فاستصرخت من قيود الحجر تنعـتقُ
ثارت على الظّلم مثل السّيل جارفة *** فـلا الفيـالـق تـثـنيهـا ولا الفـرقُ"(33)

ج- **تمجيد أبطال الجزائر** :

لقد نظّمَ الشّعراء الجزائريون والعرب عامة، أروع الأشعار التي أشادوا فيها بأبطال الجزائر؛أسود النّضال الذين قدّموا النّفسَ والنّفيس لهذا الوطن المفدّى، فصوّروا المرأة الحديدية " جميلة بوحيرد" رمز الكفاح، إذ يقول الشّاعر العراقي سعيد إبراهيم قاسم في قصيدة بعنوان " البطلة جميلة " (رمز الصّمود والتحدّي) :

" أختي جميلة والأسى يدمي فؤادي في الحـياة
مـا أنـت إلاّ زهـرةٌ ذبلـت بتعذيـب الطّغـاة
في غيهب السّجن المُريبْ
من صوتك الحلو الجميل سمعت ألحان الكفاحْ" (34)

و نختم بإحدى روائع مفدي زكريا من قصيدة نظمها بسجن البرواقية يوم الفاتح نوفمبر سنة 1958 وألقيت بالنيابة في صوت العرب بالقاهرة، وكان عنوان القصيدة: "إقرأ كتابك" قائلاً:

و اقرأ كتابكَ، للأنام مفصــــــلاً * تقرأ به الدّنيا الحديث الأروَعا**

إنَّ الجزائر قطعة قدسيّةٌ في الكـون * لحنها الرّصاص ووقّــــــعَا**

وقصيدةٌ أزلــــــــيـــةٌ، أبياتها * حمراءٌ، كنا لها نفمبر مطلــعًا**

خاتـــــمة

ختامًا إنّنا على يقينٍ بأنَّ الجزائر عروس الشّهداء، وهي ملهمة الشّعراء في كلّ مكان، تتعالى صرخات أقلامهم، ويتجاوزُ لهيبُ كلماتهم رصاصَ العدوّ، لأنّ الكلمة منهم هي يدٌ وفم، رصاصة ودم، وأنَّ الحرية الحمراء تأبى إلا أن تلبسَ لباسًا يليق بها هو الأحمر، وترفض أن يكون الأسودُ لباسَها، كما تأبى أن تكون شاةً لمن شاء أن يسلخَ، وطن يأبى على نفسه الضّيمَ والهوانَ، وطن يأبى أن يُباع أو يُشترى، أو أن يُلقى في غيابات الجبّ تبتاعه اللّصوص، وتظلّ سنون الشّعب الجزائري تلهمُ الحماسة فيه، حتى تتكشف الرُّؤى له بأنّ سنابل الحرية هي وحدها من تعصف بالسّنين العجاف التي سلّطها المستعمرون الكهنةُ بأسحارهم، و أوهامهم ووعودهم، ويفتح الفجرُ جفنه، فإذا طوفان الشّعب يمحق المستعمرَ الذي عاش يدنّس سحرَ الوجود، ويبذر شوك الأسى في ربوع الجزائر، وتتكشف للمستعمر جليّا رؤوسُ الورى و زهور الأمل التي حصدها، وتعود سنون الوطن الزّاهرة، فينقلب السّحر على أصحابه، وتعود الأرض الطيبّة لأصحابها ويعود المجد والخلود لرجال وشموا على قلوبهم اسم الجزائر رسما لا يمّحي ولا يزول إلاّ بزوال الرّجال.

- لقد ساهم الشّعر الثّوري بشكل ملفت للأنظار في صناعة الإنسان وبناء الوطن بكلّ أبعاده الاجتماعية والإنسانية والثورية؛ ولا أزعم أنني قد أتيت على كلّ عناصر البحث، أو أكون قد سبقت لشيء جديد لم يطرقه باحث.

كما نوصي أخيرا بتدوين شهادات هؤلاء من رسموا للأوطان لوحات لا تمّحي ولا تزول، لذلك كانت شهادة الرجال وساماً تتقلده ثورة العظماء.

مراجع البحث وإحالاته:

(1)- ابن منظور أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب. دار صادر، بيروت،ط3.ج11، مادة: (جَمُلَ). ص:126.

(2)- إبراهيم مصطفى، أحمد الزّيّات، حامد عبد القادر، المعجم الوسيط، ت:مجمع اللّغة العربية. دار الدّعوة،ج1ص136.

(3)- محمد عيسى وموسى، إلياذة الجزائر. مؤسسة مفدي زكريا.سنة2007م. ص:33.

(4) - عثمان سعدي " الثّورة الجزائرية في الشّعر العراقي". ج1. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.1985، ص:11.

(5) - مفدي زكريا " إلياذة الجزائر ". مربعي الطاهر. دار المختار للطباعة والنّشر والتّوزيع. الجزائر.2009 ص: 6.

(6)- محمد عيسى وموسى، إلياذة الجزائر. مؤسسة مفدي زكريا.سنة2007م. ص: 16-17.

(7)- المصدر نفسه. ص: 7.

(8)- صالح خباشة " الرّوابي الحمر ". الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1970. ص: 164.

(9)- مصطفى بيطام. " الثّورة الجزائرية في شعر المغرب العربي ". (1954 – 1962). (دراسة موضوعية فنية). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1998. ص: 223.

(10)- محمد الأخضر السّائحي. " همسات وصرخات ". المطبوعات الوطنية الجزائرية. الجزائر 1965. ص:17.

(11)- ينظر : د. عبد الله الركيبي. " الأوراس في الشّعر الحديث ودراسات أخرى ". الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر 1982. ص: 108، 109.

(12)- وهيب طنوس. " الوطن في الشّعر العربي ". منشورات جامعة حلب. كلية الآداب. مديرية الكتب والمطبوعات. 1979. ص: 28.

(13)- ديوان سليمان العيسى. دار الشورى. بيروت. ط1. 1980. ص: 361.

(14)- نور الدين السّد. " القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب ". المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986م. ص: 22.

(15)- ينظر : أحمد أبو حاقة. " الالتزام في الشّعر العربي ". دار العلم للملايين. ط1. 1979. ص: 548.

(16)- مفدي زكرياء. " اللّهب المقدس ". المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. 1961. ص: 319.

(17)- ينظر : المرجع نفسه. ص: 142.

(18)- د. عبد الله الركيبي. " الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى". ص: 44، 45.

(19)- ينظر : عثمان سعدي. " الثّورة الجزائرية في الشعر العرقي ". ج1. ص: 210.

(20)- مفدي زكريا. " اللّهب المقدس". ص: 30.

(21)- مفدي زكريا. " إلياذة الجزائر ". ص: 56.

(22)- ينظر " د.عبد الله الركيبي. " الأوراس في العربي ودراسات أخرى ". ص: 20.

(23)- أحمد اللّغماني. " قلب على شفة ". الدار التّونسية للنّشر. تونس. 1966. ص: 128، 129.

(24)- " المجاهد الثّقافي ". العدد 9. 1969. ص: 72.

(25)- ديوان محمد مهدي الجواهري. ج1. مطبعة الجمهورية. دمشق. ط4. 1957. ص: 219.

(26)- ديوان بدر شاكر السّياب. دار العودة. بيروت. 1981. ص: 378.

(27)- مجلة الرّابطة الأدبية بالنجف. 1960. ينظر عثمان سعدي. " الثّورة الجزائرية في الشّعر العراقي ". ج1. ص:212.

(28)- إبراهيم خطاب الزّبيدي. من دواوينه : " في سبيل الوطن". " الوجه الذي يتغير ". ص: 190

(29)- م س. ص: 55.

(30)- م س، ص:55.

(31)- سليمان هادي الطعمة. ديوان " الأشواق الحائرة ". بغداد. 1962. ص: 440.

(32)- مفدي زكرياء. " اللّهب المقدّس ". ص: 31.(د.ت). ص: 98، 99.

33)- عثمان سعدي. " الثّورة الجزائرية في الشّعر العراقي ". ج1. ص: 52.

(34)- ينظر : موسوعة الثّورة الجزائرية. نوال الحوار وحسن شمص، دار الأبحاث ،1434هـ2013م. ص : 314.